جميلـة

بقلم يسرى الأيوبي

الفصل الثالث

المشهد الأول:

جميلة يقتحم كالذئب
مفعما بالغضب
محتشكا بالبنادق
هادرا بالقنابل
يمطر الموت في الحياة
أين أحلام الشموس تحيط بشمسك
لتحلّي السلام المجنح في عالمك
والأمن والعدالة
والحرية والازدهار؟
لماذا تشنين حربا كونية
لنجمة حلّها الزمان؟
تحاربين شعبا مست شفاهه النار
محروما من وطنه
محروما من شرفه
يا للحلم الحلو المرير الذي حطمته
ظلال وعود أغدقتها
شريرة في واقعها
إرادة شيطان رجيم
ينشد القوة لإرادة القوة
لا لمجد الإنسان

يحن إلى السلام القلب، والقدر
يراوغ فيما يأتي أو يذر

وأحمل في الضلوع هموم شعبي
وهمي لا يفارقني فأستتر
أصارع في ربيع العمر مجتمعا
خوى ضمنا وروحا, ولا أثر
بباق في شمائله, لا ولا عبر
بناهية له, في صدره وغر
تفجر في الصدور، تراه ينتحر؟
لاشيء إلا غضب، أو لامبالاة,أو يأس قتال
الرجفة تجتاحني، والذكريات تكتم أنفاسي
كل ما هو حولي جنون، في جنون
إرضخ وأنت العاقل
أخشى على شعبي المحاصر أن ينهار
أو من حميا الغضب يصبح هو المجنون

(الشاعر في مكتبه يقرأ الشعر الذي ألقته جميلة في النادي منشورا في صحيفته.. يتملكه الغضب.. يذرع الغرفة جيئة وذهابا ثم يمسك بالهاتف ويخاطب مدير إدارة المجلة: "الطالبة جميلة تمنع أشعارها ومقالاتها من النشر في المجلة منذ اليوم")
(يدخل أحد الصحفيين لمقابلته)

الشاعر خطوة واحدة نخطوها
لا قبلها ولا بعدها
ليختتم البطل مهمته
ويصفي من يعترض جبروته
ليتهمم ويتهجم
لطرد الدخلاء المشعوذين
من أقصى اليسار إلى اليمين

جلبوا لنا النكبات
وحمّلونا النكسات
وأوردونا التهلكات

ليختتم البطل مهمته
إن نكص أو تردّد
سيغلبني الحزن وأهزم
وكل لبنان معي يتألم
ليطهر لبنان منهم
إلى البعيد فيسلم

لم اللبنانيون ينتكصون
حين أقدم البطل كالمجنون
لخلاصنا ويترددون؟
إنهم لايفون بوعدهم ولايعون
أتى يخلصنا من الطغيان والوباء الجارف
هذه إهانة وغضاضة للبطل الزاحف
لو كان لدي منظمة عسكرية
لساعدت دون استكراه
المهمة البطولية
بدون كبح طاقتي
بدون ندم بدون تريث
بدون مضض مما كان
من أفعال محاها الزمان
والبطل يدخل ديارنا

لنجدتنا وإنقاذنا

أسمع نشيجا في الخفاء
وارتعاش الرحمة عند الرعاء
أما أنا فأقول دون استحياء
أنا سعيد بالجيش الشجاع يدخل وحده
ليسحق رأس الأفعى، الإرهاب
والحزن يغلبني والعذاب
لأنه يحمل العبء وحده، وحده.

الصحفي لماذا الأحزاب لا تبالي
بحرب إنقاذ تشن من أجل الوطن الغالي

الشاعر في اعتقادي أن هناك سياسيين
مرتشين بيدهم القوة
يمنعون الشعب من الإشتراك
وهناك من يحبون
قطف الثمار بدون عراك

الصحفي ماذا تقول عن المظاهرات العالمية
تحتج على غزو لبنان؟

الشاعر عرفات, القادرعلى الابتزاز
من دول الخليج بالمليارات
ويرشو بكثير من الهبات
رؤساء دول وبارونات
وقادة يسوقون المظاهرات
ليقولوا هذا غزو للبنان
فليقطع لسان كل من يقول هذا احتلال

بملء فمي أقول باسم كل اللبنانيين
هذا الجيش الشجاع جاء وحده
لينقذنا، ليعطينا الحرية والإستقلال

المشهد الثاني:(في مكتب الحزب. الرئيس مع صحافي)

الصحافي أريد جوابا
جوابا واضحا
لماذا حزبكم
لا يشارك في الحرب اللبنانية؟

الرئيس لا نريد أن نكون جسما غريبا
في الأمة العربية
لننجح،علينا أن نبني
جسور الصداقة مع الأحزاب
المعادين لنا والأحباب
أرضنا أرض لقاء
لحوار الحضارات وللأفكار
لا نريد أن نبني موقفا
يجعلنا في عداء مع الأنصار
حربها لا زالت في اشتعال
الحرب الأهلية
لا يمكن أن نكون البادئين
بأشعال الفتيل والنار
لدينا واجب لننقذ شعبنا
وندافع عن أوطاننا
من كل من أشعل النار

في أرضنا التي ما عرفت الإستقرار
بالإرهاب المنظم والعار

الصحافي كنتم تلهثون من أجل السلام
فهل ألغيتم إلتزاماتكم،
وأخلفتم معنا وعودكم؟
أتريدون منا القيام
بالمهام القذرة دون عونكم؟

الرئيس تفعلون هذا لمصلحتكم
ونحن نعمل لحسابكم
أنها مصلحة مشتركة

الصحافي أعطيناكم قوتنا لتحكموا
خمسين عاما وأكثر وتنعموا

الرئيس لا نستطيع الحكم دون ديموقراطية
شعب لبنان لا يرضى بديلا للحرية
إن دفعنا الثمن عاجلا
لا نحصد إلا مجدا باطلا
في أرض تعج بالطوائف
والقوميات، والمذاهب الدينية
وتناقضات الفئات الحزبية
في مثل هذا الجو المحتقن
لن يعرف لبنان الاستقرار
ولا الأمن والازدهار والحرية.

(مؤتمر الإنقاذ الوطني.. إجتماع حزبي في نفس المكتب)

ناصح إن أردت أن تساهم
في تدمير بيروت
فهذا يعني تقسيم لبنان
اعلن نفسك آمرا
على قطاع مسيحي في لبنان
وأذا أردت أن تصبح رئيس جمهورية
إتخذ الروية
ولا تطلق رصاصة في بيروت
عاصمة لبنان

(يخرج المؤتمرون يبقى إبن الرئيس، يدخل هيغ وشارون. على الطاولة خارطة الطريق)

شارون لقد تجاوزنا حدود الأربعين كم.
ما تواعدنا عليه قد نفّذ وتمّم

بشير لايمكننا فعل شيء هاهنا
لا نستطيع حتى إعلان حكومتنا

شارون إلى أي مدى تريد منا الوصول؟

بشير (مشيرا إلى مكان على خارطة بيروت)
هاهنا! هذه كليتي
فيها تعلمت خبرتي
إن وصلتم ها هنا نتحرّك
نشعل اللهب ونتفرّق
إن وصلتم ها هنا
قصر بعبدا قريب
من دعمكم نستفيد
وإن لم تفعلوا

نجاحنا مشكوك بأمره
تنقلب علينا الدوائر
شارون (لنفسه)
هذا الرجل في الثلاثين
مليء بغرور الشباب
يظن أنه وحده قادر
على حكم لبنان ولا يحاذر
مناور هذا الرجل
يعدنا بإشعال الفتيل
وها هو في وعده يميل..
(يدخل حزبي ويعلن عن سقوط طائرات سورية في سهل البقاع)

المشهد الثالث:

الكورس بيروت تشتعل، بيروت تحترق
كل القنابل تقذف بيروت
مثل الطيور الجارحة تخرج من أوكارها
تطير وتقصف بيروت
بيروت تشتعل، بيروت تحترق
كل القنابل تقذف بيروت
خرجت قنبلة عن الهدف
دخلت ملجأ للأطفال والنساء
وأردتهم في برج البراجنة
سبعين قتلى، من الأبرياء
بيروت تشتعل بيروت تحترق
كل القنابل تمطر بيروت

العالم سيهتز
أكيدا سيهتز
المظاهرات ستغمر
شوارع العالم لاهثة الأنفاس
لأجل بيروت
صيحات النجدة تهدر بين الناس
لإنقاذ شعب بيروت
المحاصر بين الخيانة والمقاومة

وألسفاه! لامدينة مجاورة
ولا مدينة بعيدة اكترثت
لمصير بيروت
لتكف سيل القنابل على بيروت
وحيدة في حمى المعارك
سبعين يوما وهي تقاوم
أسلحة الدمار الشامل
تعاني صنوف المهالك
دفعت مدينة الأحلام أغلى الأثمان
لتضرب المقاومة في بيروت
لتلوي عنان الأمة العربية في بيروت

(أخو جميلة يأتي إلى الهوستيل ليقنعها بترك بيروت)
جميلة حين تنقض الطائرات علينا كالصقور
عندما سماؤنا تنفث النار
وأرضنا تسيل بالدم

عندما تنهار البنايات إلى الوحل
لتدفن ضحايا فيها رمق
عندما الريح تحمل عويل الموت
عندما البيوت تشتعل فيها النيران
ويطلب النساء والأطفال النجاة
من الحريق بالنار
بقذف أنفسهم من الشرفات
حتى يكون موتهم دون عذاب ولا ألم
ولا يحملون لو عاشوا التشوهات
لاأستطيع أن أترك شعبي هنا كي أهاجر
لأمت في فراشي خير لي من أن أغادر
سأحيا مع شعبي المحاصر
دون ماء، دون كهرباء
لست أبالي بالمخاطر
لماذا الله يسمح للإثم أن ينتصر؟

المشهد الرابع: (ديانا وعلي)

ديانا كيف أكون قربك
وهدير السيل يعلو
وصراخ يتعالى
لا تتحرّكا، إنفصلا!
علي كم كنت أخشى
أن تنقطع غبطتنا السماوية
بنذر مقبلة لآمالنا مخيبة
نجمانا لا يتعانقان ويسكنان

بكره الذين يتدخلون
بأفراحنا التي ننعم بها معا
ديانا لا تتركني يا زوجي الحبيب
أنا محاطة برجال لا يخجلون
يدعون حبي لك عارا
يتبعوني في كل مكان
ويسلقوني بألسنة حداد
يحملون بأيديهم شباكا للإصطياد
أشعر بالخوف
أتفحص النوافذ لعل أحدا في الخارج
يكشف عن خبثه لك أو لي
أحيانا أفكر: جنون أن أتحدى المجتمع
ولكن كيف لي أن أذوق
تلك السعادة بغير جنون
بغير أن أتحدى المجتمع؟
آه حبيبي، في كل صباح
حين أستيقظ من نومي
أضرع إلى الله
أن يبقي عليّ سعادتي
وسكينتي
ولكن أهلي لا يغفرون
أنني شعثت حياتي فوق ما يتصورون
وانتهكت حرمة هويتي، وأصبحت بلا هوية
حتى أمي لا تزورني!
تسكب الدمع السخين لهفوتي

علي يا حبيبتي! علي أن أذهب في مهمة
أوكلها إلي قائدي
ديانا (مذعورة)
أين؟ وكم تطول؟
علي لا أستطيع القول
السلامة بنت السرية
ديانا أحتاج إليك حبيبي
لتكون قربي
أنا مثمرة بطفلك
لا تتركني وحدي
علي (يعانقها)
أحقا ما تقولين؟
أسمع موسيقى سماوية
في الذي تهمسين
ولكن حبيبتي لا أستطيع البقاء
أنا صديق المخاطر والعناء
ليعيش طفلي في سلام وهناء
ديانا (تبكي)
إحملني معك حيث تذهب
إحملني معك يا حبيبي
لا أستطيع النوم دون أن أسمع
نبضات قلبك تهمس "قلبي يطفح بالحب"
لا أستطيع النوم دون أن أرى
عينيك تتوهجان في حبي
إحملني معك يا حبيبي

علي حين تنجح مهمتي
لن أتركك أبدا وحيدة
حبيبتي في غيابي، لتكن جميلة قربك
انها صديقة مخلصة وكذلك زوجها
لن تشعري بالوحشة معها
وحول البيت حرس مخلصون
يساعدون في الأمن وقضاء الحاجات
ديانا أيها الجوّال غير المستقر!
علي لاأتجول ياحبيبتي للمتعة أو السمر
بغيض إلي هذا السفر
الغيوم قبل العاصفة
تنذرنا بشر محتوم
لن يتركنا العدو الظلوم
يلاحقنا في منفانا القريب
بعنف يزحف إلى بيتنا
لاهثا للإنتقام من شعبنا
أتحسبيني أطيق فراق
أحلى امرأة في الكون
لشهر، لساعة، ليوم؟
ولكن حين يعصف العنف مستهدفا مصيرنا
وأولئك الذين يدعمون قضيتنا
فمن العار علينا أن نتخلّف
ننشد الأمان والسرور وغيرنا يستهدف
أتظنين زوج جميلة يفعل؟ فكيف أنا أتململ؟ (يخرجان)

الكورس لتتجنب الإغتيال
لا تتواجد في مكان
يتوقع الناس أن تكون فيه
في ذلك الوقت والزمان
إذهب ممثلا في المؤتمر
العالمي للسلام
حيث يكون لنا فيه
أصدقاء متنفذون قدام
إلى لشبونة إذهب
ففيها المؤتمر يعقد
لا تكن رجلا متبجحا
لا تلاطف، لا تغازل إمرأة
لا تبحث معها شؤونا خطيرة
لا تسرح معها في طرق مقفرة
لتكن لكمين هدفا

ولكن الساحر الرشيق
لم يتبع تعليمات الرفيق
لكبرياء مغرّرة
غازل امرأة في الطائرة
عرفت منه وجهة الطريق
تبجح بمهمته
فدبّرت له مكيدة غادرة
وبمعسول الكلام
أثنت على مهمته الباهرة

في لشبونة جال معها
في الطرق المقفرة
منفردا بدون حماية
من رفقة الحرس والجماعة
في المؤتمر حال العدو دونه
فلم يدلي بأقواله
والموت، وجد الزمان
والقناص والسلاح لاغتياله
جاءه من خلفه وهو غافل
برصاصة مكتومة أرداه وهو أعزل
آه آه آه!

المشهد السادس: (أمدوحة ديانا)

ديانا لن أعرف الغبطة والحبور
لن أعرف العزاء
من يعزيني في حبيبي الراحل
يسكب في قلبي الحزن والشقاء
حي حبيبي، روحه لن تغادر
أرض الرعب أرض الخناجر
يشحذها ملوك الطائفية والسواحر
بريء كان حبيبي من التعصب
نقي القلب، سريع الغضب
لا أصدق أنني ألقاه بين المقابر
لا، لا أصدق، سيعود بالنصر المسافر
سيعود يخطب فوق المنابر

فتصفق الأيدي له ملء الحناجر
حروفه تؤرّق أرواحنا
دمه يحوم فوق رؤوسنا
ليملأها بالندم، حيث لا ينفع الندم
سينوح عليه الجيل الجديد
حين يعي، حين يتوحّد حين يريد
لماذا نجمه الشقي
جاء به قبل أوانه
ليقطف البرعم في نواره؟
رجل يحيا في اللحظة التي فيها مات
ومن غدر به هو الملعون والميت
أيها الفجر القاسي ماذا همست لي
لقلبي المليء بالحزن في كل الليالي
أن طفلي سيحيا دون أب
يرعاه, يضحك له ولي
وان علي وعليه أن لا ننتظر وكلنا أمل
بعودة قريبة
وأنه فضّل سلام القبر على نور الشمس والقمر
من أجل إبنه، من أجل أمته، من أجل الإنسانية؟
من أجل شعبه المقهور، مهضوم الحقوق
بين الأمم، المخذول من أهله
وحين بحقه يطالب
يقضى عليه وهو يغالب
استحسان العالم للغازي الغاصب. (يغمى عليها)

المشهد السابع: (ديانا وجميلة)

ديانا آه يا جميلة!
إحساس غريب يغمر قلبي
الذي ينبض بحبه
لماذا ربطت حياتي بمصيره
لأورثه من كثيرين حوله
مثل هذا الحسد والكراهية؟
ليتني بتّ وحيدة كالنسر
في أعلى الجبال
معتزلة موفورة
لعلي قتلته
بالنفوس الوضيعة
بالحسد، بالغيرة
بالتعصب، بالتحامل من كل من اشتهاني
بحياتي الفوضوية التي سلبته كل قوة
كان مشوش الخاطر بحمايتي
ولم يكن حرا ليحمي نفسه
حبنا التحم بالنار فلم أشاهد
حواجز السنين
بين سني ومارونية
إنقض علينا الغضب
وبدل أن يسكن بين ذراعيّ
أسكنته قبرا وأنا السبب (تبكي)
جميلة لا تلومي نفسك عزيزتي
فلست السبب

حتى لو عشت في دير
فوق الجبال
لن تكون حياته آمنة
فمن اشتهى أرضه
يطارده إلى الأبد
ليلوي عنانه وإرادته
ومن اشتهى أنهار بلادك
سيجد المبرر لانتهاك بلادك
إرادة القوة ما زالت كما في القديم
لكنها تقنع نفسها وهنا العجب

(يدخل أحمد)

أحمد ديانا، عليك أن تسرعي
جئتك بملاءة لتتحجبي
غادري المكان
ففي هذه الفوضى
لا تأمني شر الزمان

ديانا (يذعر)
إلى أين أذهب؟

أحمد إلى السفارة الفرنسية تلجئين
تدبرنا أمرك حيث تقيمين
ريثما تأتي طائرة فتسافرين
حيث هيأنا لك مكان اللجوء
في باريس..
سأوصلك بنفسي (إلى جميلة)
سأعود إليك لأنقلك

إلى مكان آمن

جميلة لن أترك المكان، أنا هنا في أمان

أحمد جئتك بشريط الفيديو الذي طلبت
فيه خروج المقاومة من لبنان
قد لاأعود سريعا فلدي التزام
بقيادة فرقة مقاومة لبنانية
لدحر العدو حتى النهاية.. (يخرج علي وديانا)

المشهد الثامن: (ريف بيروت)

كورس هل تسمعون ؟ هل تسمعون؟
الله أكبر،الله أكبر
تصدر من الجوامع
ليس الوقت صلاة الفجر
نحن في منتصف الليل
نخلد للراحة بعد السهر
إنه إنذار تصدره المآذن
أفق فالخطر داهم
لا تنم فلست آمن

(يسمع هدير دبابات تقترب .. يخرج رجال مسلحون)

كورس نسائي
إلى السلاح أيتها النساء
لندافع عن قريتنا ونصفع
وجوه من لا يخجلون
يذبحون الرجال في فراشهم
ويستحيون النساء

لندافع عن أطفالنا ورجالنا العزّل
لتكن كل امرأة فينا بشجاعة خولة
لتكن سيوفنا الحادّة سكاكين مطبخنا
إلى الدبابات يانساء لاتضعن لحظة
إنه قدرنا، إنها حريتنا.
(المآذن تضرب بالرصاص لإسكات مكبرات الصوت)
ولكن، الله أكبر، ألله أكبر
دخلت البيوت والأكواخ
ليرتعش العدو الغاشم
لن يخرج منهم واحد حيا لن يخرج
سيموت طعنا بسلاح مطبخنا
ليرتجف فهذا يوم حساب الظالم
يأتيه الهول على أيدي نسوتنا..

(تنسحب المدرعات تاركة ألغاما. أصوات مختلطة تسمع حين ينفجر لغم ورجال المقاومة يعودون إلى قريتهم.. يدخل مقدمة المسرح رجال يحملون جرحاهم).

المشهد التاسع:

(جميلة تشاهد شريط الفيديو وخروج المقاومة الفلسطينية من لبنان تسمع أصواتا خلفها)

- هاهي المارقة!
- عدوة قومها
- أقتلوها، وامحو العار!

(تلتفت ولكن الرصاص يعاجلها.. تحاول الوقوف فتدور على نفسها وتسقط أرضا..آخر وجه تراه هو وجه الشاعر ينتحب فوقها..)

الشاعر ماذا فعلتم؟ انتقمتم من امرأة أخرى
هي صديقتها..يا للعار!
دللتكم على مكان ابنتكم
لتستردوها، لا لتقتلوها!
أيها القتلة المجانين

(ينسل الجميع خارجين.. يبقى الشاعر وحده.. يرى على مكتبها آخر أشعارها..يقرأ)

(الشاعر يغني مقطعا من الشعر الذي أرسلته جميلة للمجلة فنشرته لها قبل أن تتلقى الأمر بايقافه)

الشاعر يحن إلى السلام القلب، والقدر
يراوغ فيما يأتي أو يذر
وأحمل في الضلوع هموم شعبي
وهمي لا يفارقني فأستتر

أصارع في شباب العمر مجتمعا
خوى ضمنا وروحا، بل ولا أثر
بباق في شمائله، لا ولا عبر
بناهية له، في صدره وغر
تفجر في الصدور، تراه ينتحر؟

(الشاعر ينظر إلى جميلة الملقاة على الأرض كالمصعوق)

الشاعر واخجلاه منك ياجميلة!
أنت الميتة الحية
وأنا الحي الميت!

النهاية